الثقافة العربيّــة الإسلاميّــة وتحديات العولمــة

أ. الصِّـــدّيق فـــرج عليّ الفقيه ـ جامعة نالوت
البريد الإلكترونـــي : alfqyhalsdyq189@gmail.com

الملخّـــــــــــص :

العولـمة إذا تتبعناها كما هي مطروحـة من قبل المتنفذين لها في الدّول المسيطرة، وكما تؤكد دروسها اليومية المرسلة إلى مختلف جهات العالم ، وخاصة عالمنا العربي والإسلامي، فهي ليست فتحا إنسانيا يبشر بمستقبل أفضل للإنسانية، وذلك لسبب واحد وهو أن العولمة لم تتم صياغتها بين المجتمعات المتكافئة ؛ وإنما هي تعميم لقيم غربية على بقية العالم، لتحقيق رغبــة الغرب بقيادة أمريكا في السيطرة على العالم بطريقة مباشرة أو عن طريق الشركات العابرة للقارات، وعلى هذا الأساس تكون العولمة في كثير من جوانبها خطرًا على جميع شعوب العالم، ومن أجل مواجهتها يتحتم علينا القيام بنهضة حضارية شاملة يكون مرتكزها الأساسي مشـروعا ثقافيا قـوامه الأصالة والمعاصرة، ولو فعلنا ذلك ـ ونحن نملك أسباب القوة والمنعة – لأنقذنا أنفسنا وأنقذنا البشرية .

المقدمـــــــــــة :

الهيمنة الغربيـــة تفاقمت وطالت جميع مجتمعات العالم سـواء بالسيطرة المباشـرة أو غير المباشرة عن طريق الروابط الثقافية والاقتصادية ، حتى وصلت إلى أعلى أطوارها في الفترة الراهنة فقد تقلصت المسافات بسبب تطـوّر وسائل الاتصال، ومن ثمة لم يعد أي مكان في العالم بمعزل عن سواه، وفقدت المجتمعات النامية قدرتها (1) ، على القيام بنهضة مستقلة تلحق بركب الغرب أو أن تحصين ذاتها منه (2) والعولمة الثقافيـــة : تعنى سلب سيطرة الدول على مجال سيادي مهم هو : المجال الثقافي ، بغية إحداث خلخلة في البنية الثقافية لتلك الدول مما يساعد بطبيعة الحال على نشر ثقافة العولمة لامتصاص ثروات الشعوب (3).

إشكالية البحث وتساؤلاتـــــه :

العولمة الثقافيـــــة ما يزال يكتنفها الغموض، فكثير من النقاد لهم مذاهب مختلفة في فهمها وتعريفها، ومن ثمة تأتي أحكامهم غامضة ومتباعدة بسبب غموض منطلقاتهم واختلافهم ، وصار المهتمون بها يتساءلون هل من الأفضل أن تترك هذه المصطلحات وأمثالها دون تحديد ، وأن يتحدث عن بعض مظاهرها ونتائجها وعلاقتها بغيرها، اعتمادا على وجود قدر مشترك من الفهم بين الباحثين عن هذه المصطلحات ، يتيح توصيل الآراء والتحليلات إلى الآخرين مهما اختلفوا في التفصيلات والفروع .

وعولمة الثقافة تهدف بالدرجة الأولى إلى إقصاء الثقافات الأخرى عن العالمية بحجة تعارضها وعدم قدرتها على الانسجام مع توجهات الثقافة الغربية المادية ، وفى الوقت ذاته القيام بعملية خنق للثقافة العربية الإسلامية وإيقاف خطرها على الغرب .

إن مصطلح العولمة يثير الأســئلة أكثر ما يقدم الأجوبة وهو يحتاج إلى التوقّف عند الأسئلة التي يُثيرها لعلها تساعد في تحديد مفاهيمه ومدلولاته، ولتحقيق ذلك فمن الطبيعي أن يتساءل : ما العولمة ؟ هل هي ظاهرة جديدة مستحدثة أو أنها لفظ جديد للتعبير عن واقع قديم ؟ وكيف نتعامل مع هذا الواقع ؟ وهل نقبل التغيير ونقبل علية فنتغير معه أو نبقى أنفسنا وننفتح على الأخرين ؟ وهل المسؤولون وصناع القرار مستعدون وراغبــون في رفع التحدّي ؟

خطـــة البحث :

وقد تمّ تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة ، ففي المبحث الأول :مفهوم العولمــة وجـذورها التاريخية ، و المبحث الثاني : مفهوم الثقافـــــة وعولمتها ، المبحث الثالث ـ آثار العولمة وطرق مواجهتها ، ثم الخاتمة وبها أهم النتائج والتوصيات ، وقائمة وبها المصادر والمراجع التي رجعت إليها فلأعداد بحثي هذا

المبحث الأول ـ مفهوم العولمــة وجــذورها التاريخية :

1ـ مفهــوم العولمـــة: إن صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة؛ نظـرًا إلى تعدّد تعريفاتها والتي تتأثر أساسًا باتجاهات الباحثين والأحكام التى يتبنونها رفضا أو قبولا ، فضلاً عن أن العولمة ظاهـرة غير مكتملة الملامح كما يقول السيد ياسين ؛ " وذلك عائد إلى تعدد الاتجاهات، فمن جهة العولمة ليست نظاما يعبر عن تطلعات البشر المختلفة، وليست موضع اتفاق على سيادتها المستقبلية، ومن جهة أخرى تختلف المنطلقات التى تتناول هذه الظاهرة بالتعريف لها فلكل باحث تعريف خاص به(4)،

ويضيف السيد ياسين قائلا "(5) : "إذا أردنا أن نقترب من صياغة تعريف شامل للعولمة ، فلا بد من أن نضع بالاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها : الأولى : تتعلق بانتشار المعلومات بحيث أصبحت مشاعة بين جميع الناس ، والثانية : تتعلق بتذويب الحدود بين الدول، والثالثة: زيادة أوجه التشابه بين الجماعات المجتمعات والمؤسسات ، وكل هذه العمليات تـؤدّى إلى نتائج سلبية بالنسبة لبعض المجتمعات وإلى نتائج إيجابية بالنسبة لمجتمعات أخرى.

العولمة في أصلها عولمة اقتصادية قائمة على إزالة الحواجز والحدود أمام حركة التجارة لإتاحة حرية تنقل السلع ورأس المال، ومع أن الاقتصاد والتجارة مقصودان لذاتهما في العولمة، إلا أنهما لا تقتصر عليهما وحدهما؛ وإنما تتجاوزهما إلى المجال السياسي، والثقافي ، والاجتماعي ، بما تتضمنه من أنماط سلوكية ومذاهب فكرية ومواقف سياسية ، وكل ذلك هو الذى يصوغ هوية الشعوب .

واستعمال مصطلح العولمة في التداول السياسي طرح من قبل العالم الكندي (مارشال ماك لوهان)، الذى يعتبر أول من أشار إلى مصطلح العولمة عندما صاغ في نهاية عقد الستينيات مفهوم القرية الكونية (6)، وقد تبنى هذه الفكرة من بعده الأمريكي (بريجنسكي) (7) ، الذى أشار إلى أن تقدم أمريكا - التي تمتلك ما يزيد على 65% من المصادر الإعلامية - ويمكن أن يكون أنموذجا كونيا للحداثة يروج للقيم الأمريكية كالحرية وحقوق الإنسان ، ثم انتشر استخدام مصطلح العولمة بعد ذلك في كتابات سياسية واقتصادية عديدة في العقد الأخـير؛ وذلك قبل أن يكتسب المصطلح دلالات استراتيجية وثقافيه مهمة من خلال تطـوّرات واقعية عديدة شهدها العالم منذ أوائل التسعينات .

ولتوضيح الصورة لا بد من وقفــة نستعرض فيها ما صدر من تعريفات للعولمــة :

محمد عابد الجابــري (8) يُعتقد أنها نظام أو نســق ذو أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد ، وأنها نظام عالمي يشمل المال والتسويق والمبادلات والاتصال ، كما يشمل – أيضا- مجال السياسة والفكر والأيديولوجيات وأما على أحمد سليمان (9) فيرى أن العولمة عنده، تعنى : " تحقيق اندماج دول العالم الثالث بدرجة أكبر في الأسواق العالمية، ولا يقع هذا الاندماج في الأســواق العالمية عند تصدير السلع فقط ؛ ولكنه يتجاوز ذلك فيشمل الخدمات ورؤوس الأموال ، وأما السيد الزيات فيرى أن العولمة تعنــي : "

تعميم الشـــيء وتوسيع دائرتــه ، أو بعبارة أكثر دقه وتحديدا : تعميــم نمط من الأنماط الفكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية تختص به جماعة ما أو مجتمع معين أو أمه بذاتها على الجميع ، أي : العالم برمته (10) ، فـ : " العولمة وفــق هذا التصور، تعنى : تبنى النموذج الأمريكي في المجالات الحياتية المختلفة، أي :الأمركة، والتي يشدد عليها(توماس فريدمان) حين يصرّح : "نحن أمام معارك سياسية وحضارية ، العولمة هي الأمركة "، غير أن ميشال ، يرى عكس ذلك في أطروحاته الأربع التالية (11):

ـ العولمة لا توحّــد العالم .

ـ العولمة الأمريكية تختلف عن عولمة غيرها من البلدان .

ـ الأمريكيون لا يعرفون جيدًا ما إذا كانت العولمة شيئا إيجابيا أم سلبيا .

ـ أمريكا لن تكون القــوة العظمى .

من خلال ما تقدّم من تعريفات يمكن تقديم مفهوم للعولمة يجمع بين مفهومها وخصائصها : " العولمة هي تلك الحالة أو الظاهــرة التي تسود العالم حاليا، وتتميز بمجموعة من العلاقات والعوامل والقوى ، تتحرك بسهولة على المستوى الكوني متجاوزة الحدود الجغرافية للدول ويصعب السيطرة عليها، وتساندها التزامات دولية أو دعم قانوني، مستخدمة آليات متعددة، ومنتجة لآثار ونتائج تتعدى نطاق الدولة الوطنية إلى المستوى العالمي؛ لتربط العالم في شكل كيان متشابك الأطراف، يطلق عليه القرية الكونية "(12) ، وكما كان هناك اختلاف بين الباحثين في تحديد مفهوم دقيق للعولمة فقد كان هناك اختلاف في تحديد جذورها التاريخية .

2ــ الجذور التاريخية للعولمـــــة: العولمة مثلها مثل أي ظاهرة اجتماعية حياتية لا بد أن تكون متصلة بما قبلها وجسرا لما بعدها ، ولابد من أن تحوي عناصر قديمة وأخرى جديدة ، وفى الغالب فيها أمور نافعة وأخرى غير نافعة "(13) ، والواقع أن قضية الهيمنة قديمة قدم التاريخ الإنساني فما من قوة تظهر إلا وتريد أن تنفرد دائما بالعالم ، وإخضاعه إلى مبادئها : فاليونان والرومان والفرس، والإمبراطوريات ذات النزعة الاستعمارية الحديثة كلها كانت تتجه نحو الهيمنة والسيطرة ، فأوروبا الحديثة نموذج واضح في محاولتها السيطرة وكسب مناطق النفوذ، ولقد تباينت الأراء حول جورها التاريخية على النحو التالي :

1ـ هناك من يرى أن العولمة ليست ظاهرة جديدة ، بل بداياتها الأولى ترجع إلى القرن التاسع عشر، مع بداية الاستعمار الغربي ، ثم اقترنت بتطور النظام التجاري الحديث في أوروبا ، الأمر الذى أدى إلى ولادة نظام عالمي متشابك ومعقد سمى بالعولمة ، ويذهب آخرون إلى أن مصطلح النظام العالمي كان مستخدما منذ مؤتمر فيينا 1815 الذى قاده (مترنيخ) ، و(بسمارك) في سبعينيات القرن التاسع عشر ، ثم تجدد في إيطاليا 1943 م ، على يد الحلفاء في الحرب العالمية الثانية .

2- أن العولمة ليست تطوّرًا عن الاستعمار الأوروبي أو ظاهرة الثورة الصناعية ؛ وإنما هي نظام كوني شامل جديد، ومواصفاته لا تشبه مواصفات الأمبراطوريات السابقة

3ـ العولمـــــة الحالية تعــود إلى السياسات التي ارتأت أمريكا أن تسيطر بها على العالم ، غير أن الحرب الباردة بينها وبين الاتحاد السوفيتي أجلت تلك الهيمنة إلى بداية التسعينات(14).

4- يرجّـح صاحب كتاب (فـــخّ العولمة) البداية الحقيقية للعولمة إلى عام 1995 ؛ حيث وجه الرئيس السوفيتي جورباتشوف الدعوة الى خمسمائة من قادة العالم في مجال السياسة والمال والاقتصاد في فندق فيرمونت المشهور في سان فرانسيسكو لكى يبنوا معالم الطريق إلى القرن الحادي والعشرين (15).

5- ظهور الدولة القومية الموحدة في أوروبا ، حيث بنى بعض المحللين النشأة الأولى للعولمة ، فقد تتبع زولاندرو برتسون البعد الزمنى التاريخي العولمة بناء على المراحل التالية :

أـ المرحلة الجنينية : وهى الممتدة من منذ مستهل القرن 15 حتى منتصف القرن 18 وفيها شهدت أوروبا نمو المجتمعات القومية .

ب ـ مرحلة النشوء : وهى منتصف القرن 18 حتى عام 1870م و، فيها تطورت فكرة الدولة المتجانسة الموحّدة التي ظهرت في صورة مثل زيادة الاتفاقيات الدولية والمؤسسات الخاصة بتنظيم العلاقات بيت الدول .

ج ـ مرحلة الانطلاق: التي ابتدأت عام 1870 حتى العشرية الثانية من القرن العشرين

دـ مرحلة الصراع من أجل الهيمنة : من العشرية الثانية حتى منتصف الستينيات من القرن العشرين ، وفيها بدأت الخلافات والحروب الفكرية ، وركّز فيها على القضايا الإنسانية لاسيما بعد القاء القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكي باليابان.

هـ مرحلة عدم اليقين : وهى المرحلة التالية التي ابتدأت من عقد الستين إلى الوقت الراهـن ، وتم فيها إدراج العالم الثالث في المجتمع العالمي ، وشهدت نهاية الحرب الباردة وازدادت المؤسسات العالمية .

وهناك من يفسّـــر العولمة على أنها مبادرة تقدّم بها بعض المنظرين في الولايات المتحدة عام 1965 ، وطرحوا فيها ثلاث قضايا (16) جعلوا منها برنامج عمل يضمن للولايات المتحدة الأمريكية الهيمنة والسيادة على العالم وهـــي :

القضية الأولي : تتعلق بالسوق العالمية ، كأداة لإخلال التوازن بالدول القومية ، والقضية الثانيــة : تخص الاعلام ، والقضية الثالثة : تتعلق بالسوق كمجال للمنافسة .

وهذه القضايا الثلاث فسرها الجابري بما يلي (17): شل الدول الوطنية ، وتوظيف الإعلام ، والتعامل مع أفراد العالم بمبدأ البقاء للأصلح .

وبناء على ما تقدم يتبين أن العولمة ليست حدثا جديدا؛ بل هي ظاهرة نشأت مع ظهور الإمبراطوريات في القرون الماضية ، ففي السابق حاولت هذه الأخيرة أن تُصبغ الشعوب التي تبسط سيطرتها نفوذها عليها بثقافتها، وتسعى لترسيخ هذه الثقافة في مختلف جوانب حياة هذه الشعوب، وقد عملت هذه الامبراطوريات لتوجيه قيم هذه الشعوب وتقاليدها وحضارتها، وفق أنماط حياتها ، فكانت هذه الخطوة نحو العولمة .

وقد لبست هذه العولمة عدة أثواب أخري، منها الثوب العسكري ومنها الاستعمار ومنها استنزاف الموارد : فقد قام الشمال باحتلال بلاد الجنوب متعللا بشتى الأسباب ، وعن طريق هذا الاحتلال تحكّم في مقدّرات البلاد واستنزاف مواردها، وغرس ثقافتها فيها ، وكانت هذه خطوة أخرى نحو العولمة .

المبحث الثانـــي ـ مفهوم الثقافـــة وعولمتها :

1ـ مفهوم الثقافـــة : مفهوم شامل معبر عن نظرة الفرد للإنسان والكون والإله وللآخرين من حوله، ولنمط الحياة والسلوك والعلاقة بين الدول والدولة والقيم ، ولذلك فالثقافة تختلف طبيعتها من حضارة لأخـرى حيث نجد لكل حضارة خصوصيتها الثقافية الت تحدد هويتها سواء من حيث مصدرها ومنبعها أو من حيث غايتها وهدفها؛

ولكن العولمة تريد أن تصهر كل الثقافات الموجودة في ثقافة واحدة هي الثقافة الغربية التي تعنى العولمة عندها فرض منظومتها الثقافية والحضارية ، وجعل النموذج الغربي هو النموذج العالمي وهذا ما يعنى اذابة الهوية الثقافية للشعوب الأخرى ، مستغله في ذلك التقدم التكنولوجي في مجال الاتصالات وما ترسله الينا عبر الفضائيات من سيل جارف من المواد الإعلامية والتي يعبر عنها الدكتور مصطفى محمود بقولــه (18): " وما هذه العولمة الثقافية سوى العلف الثقافي الرديء الذي يلقي به الاعلاميون الكبار الينا، وهذه العولمة هي الاسم الجديد للاستعمار المهين وغسيل المخ المتواصل الذى كتب علينا أن نعيش فيه"

وهناك نوعان رئيسيان من الثقافة (19) :

1- **الثقافـــة السياســية** : وهى التي تهتم بأمور الناس وقضاياهم المصيرية فيما يرتبط بالحريات ، كحرية الرأي والتصويت أو كجرية الممارسة الدينية وغيرها.

وتنقسم الثقافة وفق مفهومها الى قسمين :

أ- ثقافة تدفع الناس نحو التحرك والانطلاق والسعي الجاد للتغيير والإصلاح .

ب -ثقافة تقتل في الناس روح التحدي وتكرّس فيهم روح التبعية والخوف والاعتراف بالأمر الواقع على مرارته .

2- الثقافـــة الاجتماعيـــة : وهى التي تتلخّص في الأعــراف والتقاليد التي يبنى عليها المجتمع حياته بما يضمن سعادته ورُقيّه في ظل قوانين يتمسك بها الجميع من دون وصاية من أحد ، وهناك أيضا نوعان من الثقافة الاجتماعية :

أ- ثقافة تدعو وتحث باتجاه تحكيم القيم والمثل النبيلة كالتعاون والترابط والالفة.

ب- ثقافة تشد الناس نحو السلبية والتفكك والانعزال وزرع روح الهزيمة في النفوس .

ولكى تكون الثقافة عنصرًا مهمًا لا بد من أن تكون متكاملة ، بمعنى : أن تكون ثقافة سياسية واجتماعية للعلاقة التي تربطهما، وأن تدفع الناس باتجاه القيم السامية ، فتحرك فيهم روح المسؤولية والعطاء من أجل تغيير الواقع المتردي، واصلاحه: فالإصلاحات الاجتماعية عادة لا تصبح مجدية إلا عندما تحركها ثقافة صادقة (20).

ومن خلال هذه الدلالات يمكن تحديد أبعاد مفهوم الثقافــة في اللغة العربية (21)

1- أنها تنبع من الذات الإنسانية ولا تغرس من الخارج ، أي: أن الثقافة تتفق مع الفطرة، وأن ما يخالف الفطرة يجب تهذيبه ، فالأمر ليس مرده أن يحمل الإنسان قيما؛ بل أن يتفق مضمون القيم مع الفطرة البشرية

2- أنها يعنى البحث والتنقيب والظفر بمعاني الحق والخير والعدل، وكل القيم التي تصلح الوجود الإنساني .

3ـ أنها تركز على المعرفة ،وما يحتاج إليه الإنسان طبقا لظروف بيئته ومجتمعه ، وليس على مطلق أنواع المعارف والعلوم .

4ـ أنها عملية متجددة دائما لا تنتهي أبدًا .

وهذه النظرة القائمة على مبدأ التنوع الثقافــي هي اليوم من مبادئ القانون الدولي : فقد جاء في المادة الأولــى من إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي " لكل ثقافة كرامة وقيمة يجب احترامها والمحافظة عليهما، وأن من حق كل شعب وواجبه أن ينمي ثقافته، وأن جميع الثقافات تشكّل بما فيها من تنوّع تأثيرا متبادلا ". ووفقا لمضامين هذا النص ، ألا تعد عولمة الثقافة بمفهومها الغربي انتهاكا صريحا لمبادئ القانون الدولي ؟

وكما هو الحال بالنسبة لمفهوم العولمة فليس هناك في الواقع مفهوم محدد لمعنى الثقافة ومن ثمة فهي تختلف من مفكر الى آخر على النحو التالي :

(دافيد روتكويف) يعرفها بأنها : "نموذج كلي لسلوك الإنسان ونتائجه المتجسدة في الكلمات والافعال وما تصنعه يداه، وتعتمد على قدرة الإنسان على التعليم ونقل المعرفة للأجيال التالية"(22) ، ومحمد عابد الجابري يرى بأنها : "ذلك المركب المتجانس الذكريات والتطورات والقيم والرموز والتعبيرات والابداعات والتطلعات التي تحفظ لجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها ، بهويتها الحضارية ، في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء (23).

ومن خلال هذه التعريفات يمكن تحديد المعالم التالية للثقافة : (الثقافة لا تقتصر على مجرد المعلومات والتصورات الذهنية لدى كل فرد ؛ بل تطال مجموع الشخصيات الإنسانية ومدى تفاعلها مع البيئة والكون) ، (الثقافة لا تعكس تصورا فرديا محضا؛ بل هي صورة لمجتمع كامل وأمة بأسرها. (الثقافة تعبر عن الخلفية الإنسانية التاريخية ، وهى في الوقت ذاته إحدى طموحات النفس البشرية) .

وإذا كانت العولمة في معناها تعنى : تعميم الشيء وتوسيع دائرته فشأن الثقافة أوغل في هذا الميدان؛ لأن التأثير الثقافي أسرع من أي تأثير آخر ، وذلك بحكم التفاعل مع الغير، ولذا يرى (دافيد روتكويف) أن طغيان ثقافة واحدة وعالمية وتهديد ثقافة المرء يصبح تهديدا لدينة وأسلافه ، ومن بعد تهديدا لجوهر هويته (24).

2ـ عولمـة الثقافـة : ليس خافيا على أحد اليوم أن المجال الثقافي هو أحد مظاهر العولمة وهو ما أطلق عليه البعض نظام التحكيم الاجتماعي في سوق المجتمعات(25) ، ومن هنا يتفق الباحثون على أن عولمة الثقافة هي خطر المتأثرة بالعولمة ، وفى هذا الصدد يقول سيار الجميل : "ولم ينحصر المر في الاقتصاديات المعولمة؛ بل طالت وبسرعة شديدة ونسبية عالية هذه العولمة ثقافات الشعوب وقيمها وعاداتها" (26).

3ـوسائل عولمة الثقافـة : يعتمد النظام العالم الجديد ، في سعيه لعولمة ثقافته على عدد من الوسائل يمكن اختصار بعض منها في النقاط التالية (27):

1ـ ثقافة الاختـلاط وعدم التفريق بين الرجل والمرأة بصورة تكاد تكون مُطلقة .

2ـ عولمة التجارة والاقتصاد القائمين على الفائدة التي هي مصطلح النظام للتعبير عن الربا .

3ـ الفصل بين الدّين وأنظمة الحياة المختلفة ، حتى لا يشكل الدين عائقا أمام حركة التغيير والتطور في المجتمعات المعولمة .

4ـ الابهار العلمي والتكنولوجي ، واتهاذ التطور في هذين المجالين دليلا على صحة التوجه في المجالات الحياتية المختلفة .

هذه هي أهم الوسائل المعتمدة من قبل دول المركز في تسويق أو فرض العولمة التي تريدها .

أهداف عولمة الثقافة : هذه الأهداف يمكن تلخيصها فيما يلي :

ـ خدمة السيادة المركزية والهيمنة الغربية ، وتوطيد معاني العولمة الاقتصادية والسياسية ، ونقل هذا الموذج الثقافي العالمي إلى باقي الشعوب الأخرى .

ـ توحيد الثقافة العالمية ، وصهرها في ثقافة واحدة ، وإلغاء التعددية الثقافية وحق التنوع الثقافي .

ـ نزع الخصوصية الفردية ومحو الهوية الذاتية للمجتمعات خاصة العربية الإسلامية ، ولذلك نرى أن أنصار العولمة لا يعترفون بالهوية الشخصية سواء هوية الفرد الواحد أو المجتمع الواحد أو الدولة الواحدة .

ـ تحطيم كل الثوابت الدينية والفكرية والأخلاقية للوصول الى بناء انسان هامشي يذوب في بحر المادية .

دعائم عولمـــــة الثقافة : يمكن اجمال هذه المرتكزات في النقاط التالية :

1ـ القطب الواحـــد : إن انهيار الاتحاد السوفيتي فسح المجال أمام الغرب لنشر مبادئه في كل المجتمعات الأخرى : فأصبحت قيم السوق ، التجارة الحرة ، الانفتاح الاقتصادي ، التبادل التجاري ، انتقال السلع ورؤوس الأموال ، تقنيات الانتاج والأشخاص والمعلومات هي القيم الرائجة . لقد تولت أمريكا قيادة هذا القطب وراحت تفرض هذه المبادئ عن طريق المؤسسات الدولية وهن طريق الاتفاقيات الدولية التي تقرها تلك المؤسسات كاتفاقية القات : لقد كان من نتائج ذلك أن أصبح هناك 20% من دول العالم تستحوذ على 85% من إجمالي الإنتاج العالمي وعلى 84% من التجارة العالمية ويمتلك مواطنوها 85% من مجموع المدخرات العالمية.

2ـ الثـــورة العلمية : المتمثلة في وفرة المعلومات وتراكمها وإتاحتها للاستعمال عبر شبكة المعلومات ولعل أهمها الحاسب الآلي ، ومن المهم الاعتراف بأن "المعرفة سلطة وأداة هيمنة ، وأن من يملك المعرفة وأدوات توزيعها والقدرة على توظيفها يملك سلطة التحكم في العقول التابعة : فعلى سبيل المثال نصيب أمريكا من السوق العالمية من برامج الكمبيوتر سابقة التجهيز سنة 1994م 60% ، ونصيبها من سوق الكتب العالمية عام 1995 32% (28) هكذا تصبح تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أهم مصدر من مصادر الثروة بل "روح عصر العولمة وعمودها الفقري"(29).

3ـ إلغاء الحـــدود : والذى يعنى عدم الاكتراث بالحدود المحلية للدولة ، مما يسهل حركة التنقل بين دولة وأخرى سواء في ذلك السلع والخدمات أو القوى البشرية . غير أن الغريب في الأمر أن دول المركز أي الدول الراعية للعولمة سارت في عكس هذا الاتجاه عندما أغلقت أبوابها وحدودها أمام الهجرات القادمة من دول الأطراف ، وسعت في نفس تلك الدول إلى "تطبيق سياسة الانتقاء في سرقة العقول والكفاءات(30)

4ـ وسائل الإعـــلام : وتتخذ هذه الركيزة ثلاث وجهات :

أ ـ تكنولوجية الوسيلة ذاتها بحيث تؤدي عملها على أوسع نطاق .
ب ـ المادة التي تنشرها وتبثها هذه الوسائل ، وهو ما يمكن أن يطلق عليه عولمة الإنتاج الفني ، وقد تجاوزت وسائل الإعلام الصحف والمجلات والأشرطة إلى القرص الفضائي وشبكة الانترنيت العالمية .
ج ـ عولمة الاعلام ذاته والمتمثلة في الوكالات العالمية للأنباء ؛ إذ نجد مثلا أن أربع وكالات أنباء عالمية غربية تحتكر وحدها الخبر وتصوغه (31).

وعلى الرغم من كل تأثيرات الإعلام الغربي والأمريكي في نشر وتكريس نمط الثقافة الغربية والأمريكية في الفضائيات والإنترنيت والأفلام والمجلات وغير ذلك ، فإن الدعوات المضادة لثقافة العولمة المادية الإلحادية ، ما تزال تستقطب أنصارا في غير مكان في العالم ، وهذاما يؤكد تلازم التحـولات العولمية مع ازدياد تحولات الممانعة والمعاومة لها (32).

4ـ اللغـــة : إذا كانت اللغة هي أداة التفاهم والتواصل ونقل الأفكار، فهي في الوقت نفسه أداة مهمة تعتمدها قوى العولمة في بسط هيمنتها الثقافية : ففي هذا الصدد يشير الكاتب (صامويل هانتينجتون) (33) إلى أن العالم يتوجه نحو حرب حضارية تكون فيها القيم اللغوية والرمزية هي الحدود القتالية ، ويذهب السياسي الفرنسي بينو في نفس الاتجاه عندما يقول (34) : "لقد خسرت فرنسا امبراطورية استعمارية ، وعليها أن تعوضها بإمبراطورية ثقافية " وتحقيقا لهذه الرغبة بدأت القوى الكبرى منذ أمد في تكريس هيمنة لغات معينة ، والترويج لها باعتبارها لغات العلم والعمل ، حتى بات يعتقد أن اللغات (35).

أـ التنافس الرهيب في مجال المعلوماتية وشبكات الأنترنيت ومحطات الارسال التلفزيوني بلغات معينة ومحدودة مما يحاصر كثيرا بعض اللغات الأخرى خاصة ذات الطابع المحلي .
ب ـ العمل على انتاج ثقافة استهلاكية ، تخدم النظام العالمي الجديد ، وتوجه المقومات الأساسية لدولة ما وتقلص من خصوصيتها .
ج ـ محاولة اضعاف اقتصاديات بعض الأمم من أجل تقزيم حضارتها ، وضعاف لغاتها مع تشجيع الأقليات اللغوية ، ودفعها الى خلق صراعات داخلية .
دـ التأثير في ذاكرة الأمة ، بالسعي إلى طمس تراثها الثقافي الأصيل ومحاولة تشويهه

هـ استغلال صدمة الحداثة من أجل تحقيق العولمة ، وتصدير ثقافات معينة للغات معروفة بوسائل متطورة إلى شعوب لا تقوى على مواجهتها ، مما يؤدي في النهاية إلى الاستسلام والتقاعس.

وما نراه اليوم من طغيان للثقافة الغربية تشكل اللغة نسبة عالية من المساهمة فيه : فعلى سبيل المثال نلاحظ أن 88% من معطيات الإنترنيت باللغة الإنجليزية و 9 % بالألمانية و2% بالفرنسية و1% يوزع على بقية اللغات الغربية (36) ، وهناك دعائم أخري للعولمة مثل مناهج التعليم ومراكز الأبحاث العلمية ، ودعوات التنصير ، وأعمال بعض المستشرقين وغير ذلك مما يساهم في بناء هذه العملية التكاملية .

المبحث الثالث ـ آثار العولمة وطـــــرق مواجهتها :

التأثيرات المباشرة للعولمة الثقافية تنال بعمق في أهم مكونين للسياسة الثقافية الفردية والجماعية وهى التربية التعليم والتكوين، وذلك راجع لهشاشة البنية التحتية لهذا القطاع في مجتمعاتنا العربية الإسلامية .

1ـ الحقوق الثقافيـــــة للشعوب : وأما بخصوص آثار العولمة على الحقوق الثقافية فسوف نجد الأمر أكثر تعقيدًا وأكثر إثارة للجدل بين الخصوصية والعالمية وبين ما هو محلي وما هو عالمي وبين التعددية والأحادية في نظرة شاملة لما هو كوني . فالقيم الراسخة في ضمير الشعوب هي التي تشكل رؤيتها ونظرتها للعالم ومن هنا تأتي أهمية الثقافة بالنسبة لقضية العولمة ، ووفقا للمواثيق الدولية ، فللإنسان الحق في التمتع بثقافته الخاصة واستخدام لغته والمجاهرة بدينه أي أن تكون له خصوصيته الثقافية التي تعني الاختلاف والتميز بيد أن التفاوت الهائل في الإمكانيات الثقافية التي ارتبطت ببعض الحضارات يُثير المخاوف لما في ذلك من تهديد لثقافات ومجتمعات أخرى لا تملك الإمكانيات التي تملكها الدول الغربية ، وهذا ما سيجعلها دوما في وضعية المتلقي، فقد ذكرت احصائيات منظمة اليونسكو أن شبكات التلفزيون العربية ، تستورد ما بين ثلث إجمالي البث كما في سوريا ومصر ونصف هذا الإجمالي كما في تونس والجزائر ، أما في لبنان فإن البرامج الأجنبية تزيد على ذلك حيث تصل النسبة إلى 58% من إجمالي البث ، 96% من مجموع البرامج الثقافية ، ولاشك أن هذه الأوضاع تثير مخاوف الكثيرين لا في العالم العربي الإسلامي وحسب بل في مناطق كثيرة من العالم كأوروبا واليابان باعتبارهما تشكل خطرا على الأمن الثقافي للمجتمعات المختلفة

2- الثقافة العربية الإسلاميـــــة : تعتبر ثقافة كل أمة على صلة وثيقة بدينها وتراثها الثقافي والحضاري ، وأن تخلي الأمة عن ثقافتها هو جزء من التخلي عن دينها تراثها وهذا ما تهدف العولمة الثقافية وأبواقها إلى تحقيقه وتكريسه على أرض الواقع ، وعلى هذا الأساس فالثقافة العربية الإسلامية تقوم على أصول تختلف ، بل تتعارض مع أصول الثقافة الغربية : فإذا كانت الأولى تقوم في المقام الأول على عنصر التوحيد مصداقا لقوله – تعالى - : ﴿ **فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ** ﴾ (37) ، فإن الثانية إما أنها تقوم على الشرك ، وهو ما عبر عنه قوله- تعالى- : ﴿ **وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ** ﴾ (38) ، وإنا أنها تقوم على الكفر والالحاد ، كما عبر عنه قوله تعالي : ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ** ﴾ (39)، ومن جهة أخرى ، ونتيجة لاختلاف المنطلقين بين الثقافة الغربية والثقافة العربية الإسلامية فقد سمحت المجتمعات الغربية لمؤسساتها أن تتبنى حقائق وأعرافا أخلاقية تقوم على النسبية لا يحدها ولا يوقفها سوى قبول أفراد المجتمع لها : فهي حقائق وأخلاق صحيحة إذا رضي عنها أفراد المجتمع ، وهى غير صحيحة إذا لم يرض عنها أحد ، بينما تعتمد الثقافة الإسلامية على حقائق وأخلاق ثابتة ، كما جاء في قوله – تعالى - : ﴿ **وَمَا ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ** ﴾ (40)، ولا ريب أن في الثقافة التي تعتمد على أصول متغيرة ، كالثقافة الغربية ، تختلف عن الثقافة العربية الإسلامية التي تعتمد على أصول ثابتة : فسيبقى على سبيل المثال لا الحصر تعاطى الخمر وجميع المسكرات مرفوضا في الثقافة العربية الإسلامية ، بينما تغير الموقف بالنسبة لهما في الثقافة الغربية خصوصا ، وفى الثقافات الأخرى عموما ، هذه الطبيعة للثقافات الغربية والقائمين على نسبية الحقائق تمثل تهديدا للثقافة العربية الإسلامية : فنسبية الحقائق التي تروج (41) لها ثقافة العولمة تتعارض مع ثوابت ثقافتنا القائمة على الحقائق الثابتة.

وأخيرا فإن الثقافة العربية الإسلامية تقوم على عدم الفصل بين الدين والدولة ، بينما تقوم الثقافات الغربية الحديثة ، على أن الدين من جملة القضايا الشخصية ، ومن ثمة إحلال روابط أخرى مختلفة محل الرابطة الدينية ، تتمحور حولها الشعوب الغربية فإذا كانت العولمة بصورة عامة تهدف لإخضاع الشعوب لسيطرتها فإن العولمة المؤمركة تتجه بصورة خاصة إلى إخضاع البلدان الغربية لسيطرتها على نحو أشد مما فعلت بعد الحرب العالمية الثانية؛ ولهذا يشعر قادة غربيون أوروبيون كثيرون ،

وكذلك يابانيون، ومعهم فئات واسعة من المثقفين أن العولمة الغربية تهدد ثقافاتهم وهوياتهم ، كما يؤكد ذلك الرئيس الفرنسي السابق فرانسوا ميتران حين يقول : "إن من يفقد ثقافته وهويته يفقد سيادته واستقلاله" .

هذا التوجه الخطير يظهر جليا في مفاوضات القات ، حيث عوملت الثقافة ومؤسساتها كمعاملة السلع المادية ، وهذا ما أسماه البعض بتحول الثقافة إلى سلعة ، وبتحويل المؤسسات الثقافية إلى البيع والشراء في السوق لمن يدفع أكثر ، وهذا يعنى رفع الحماية المحلية عنها لكي يسهل بيعها للمؤسسات المالية العالمية التي تضعها في خدمة العولمة الغربية . إذن نحن أمام خطر تحويل الثقافة نفسها ومؤسساتها إلى سلعة وأمام إشاعة ثقافة العولمة ذات الطابع الغربي والمتجهة إلى إقصاء الثقافات الأخرى ، وذلك ليس من خلال قيمتها الثقافية أو منافستها الثقافية ، وإنما من خلال قوتها المالية وقدرتها على الإنتاج والتوزيع ، والمعركة في المجال الثقافي سواء أكانت من جانب العولمة وأبواقها أم من جانب معارضيها ستحتدم أكثر فأكثر مع تغلغل العولمة ومحاولتها السيطرة على المراكز الثقافية والإعلامية والتعليمية : فقد بدأت أولى طلائع هذه المعركة تبرز في مجال الهجمات ضد الثقافة العربية الإسلامية ، وضد كل القيم التي تحافظ على العائلة ، الاخلاق ، وتعارض دعوات الانحلال والتفسخ .

3ـ المواقف المختلفـــة من تحديات العولمة للثقافـــة العربية الإسلاميـــة :

أدّى الاختلاف في المواقف حول العولمة إلى تباين اتجاهات التعامل معها : فهناك اتجاه رافض لها بالكامل على أساس أنه خطر يهدد الأمة العربية الإسلامية في كيانها وثوابتها ، وهناك اتجاه يقبل بالعولمة من دون تحفظ باعتبارها السبيل للتقدم واللحاق بالركب العالمي . هل في هذين الموقفين يكمن الحل ؟ الإجابة على هذا السؤال تبدو غاية في التعقيد : فلا الانغلاق عما يجري في العلم ممكن ومتاح ، وليس صحيحا كل الصحة لو كان ممكنا ولا الانخراط الكامل والسريع بلا ضوابط في نادي العولمة مجد هو الآخر ، بل إن الآثار السلبية الناجمة عن هذا التوجه لا تقبل خطرا عن التوجه الآخر الرافض للعولمة جملة وتفصيلا ، ويمكن تلخيص الوضع القائم في البلدان العربية الإسلامية فيما يخص الجانب الثقافي في التالي (42):

1ـ غياب التصور الكامل لأصول ومفردات هذه الثقافة ، والاختلاف حول بعضها .

2ـ عدم توظيف جميع مفردات هذه الثقافة في مجالات التعليم ، التربية ، الاعلام ، التجارة ، الاقتصاد والسياسة .

3ـ عدم وجود أجهزة ثقافية وإعلامية كافية ومؤهلة قادرة على تقديم البديل المنافس للثقافات الأخرى ، التي تتعارض مع الثقافة العربية الإسلامية وإن وجدت فهي تقدم هذه الثقافة بصورة مشوهة في أغلب الأحيان.

وإذا ما أردنا مواجهة عولمة الثقافة الغربية المتعارضة مع ثقافاتنا ، فلا بد للدول العربية الإسلامية من معالجة هذا الوضع ، وإيجاد وضع بديل قوى يتلافى النقائص الموجودة ويهيئ الدول المذكورة ليس فقط لمواجهة العولمة الوافدة بل لإحداث عولمة عربية إسلامية ، كما أحدث المسلمون في القرون الإسلامية الأولى عولمة للإسلام وثقافته وصلت إلى مختلف مناطق العالم المعروفة آنذاك .

4ـ عوامل نجـــاح مواجهة الثقافة العربية الإسلامية لتحديات العولمـــــة :

مقاومة العولمة وكيفية التعامل معها ينبغي أن تتأسس على قاعدة علمية وتكوين فهم معرفي بها ، وهذا الذى لم يتحقق : فمهاجمة العولمة أو رفضها أو التخويف منها لا يكون علما ولا يؤسس فهما ولا يبني تحصنا ولا يعالج مشكلة ولا ينتج بديلا ، لذلك فإن المطلوب دراسة العولمة بشكل معمق ومستفيض ، وبالعلم والمعرفة نستطيع أن نمتلك قدرة التحكم في إدارة أوضاعنا وتسيير شؤوننا وضبط حركتنا في ظل العولمة ، والنظر العلمي للعولمة يستدعي التمييز بين الجانب العلمي (43) في العولمة ، وبين الجانب الأيديولوجي أو التوظيفي(44) للعولمة ، كما أن العولمة تستدعي تكوين فهم جديد للعالم ، والنظر للقضايا والمشكلات المختلفة والمتعددة بمنظور عالمي .

ولتحقيق هذه الغاية لعالمنا العربي الإسلامي هناك طرح متكامل يتمثل فيما يلي :

4ـ فهم ظاهــرة العولمة : إن فهم ظاهرة العولمة لا يتأتى الا عبر تحقيق عدة أمور :

1ـ الوعي بحقيقة الرسالة الإسلامية وعالميتها وشموليتها وأنها تختلف شكلا وجوهرا ومقصدا عن كل لحضارات والثقافات الأخرى : فعالمية الإسلام تعنى قابليته لاستيعاب كل الاتجاهات وكل المتغيرات والمستجدات . ولا يتأتى هذا الفهم إلا بتصحيح المسيرة التي ينتهجها الغالب الأعم من أبناء الإسلام والمنتمين إليه في صور منها :

2ـ تصحيح فهم عالمية الإسلام باعتباره دعوة إنسانية موجهة للناس كافة ، مصداقا لقوله تعالى : **﴿وما أرسلنك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا﴾** (45).

3ـ ممارسة الاجتهاد والاقبال على التجديد في الموائمة بين الواقع والنص الشرعي بكل يضمن للنص حقه وللحياة نصيبها ، وفق المنطق القرآني : ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَيٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِـــرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِـى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ۖ**﴾ (46).

4ـ إعادة قيم الحرية والشورى إلى مكانهما الصحيح من التصور الإسلامي .

5ـ ادراك خطورة العولمة المتمثلة في كونها طوفانا لا يمنع منه إلا سد منيع مبني على أسس متينة لا يتأثر معها بعوامل الزمن والبيئة .

6ـ الاستفادة من الإيجابيات التي يحملها نظام العولمة استفادة موجهة بقدر ما يتيح لنا كسب المهارات العلمية والتكنولوجية والاطلاع على عوامل القوة وأسبابها .

7ـ عدم الإقرار بالقبول العالمي أو بقدرتها على الهيمنة فإن من مخاوف خبراء الاقتصاد العالمي مثلا تأكيدهم على أن إزالة الحدود يعبد الطرق أمام دول العالم الثالث للخروج من مأزق الفقر والتخلف للالتحاق بركب البلدان الصناعية (47).

5ـ مراقبة المنتجات الثقافية : وإذا كانت كثير من الدول الأوروبية والآسيوية قد حدت من دخول كثير من المنتجات الثقافية الأمريكية حفاظا على أنماطها الاجتماعية والثقافية ، فإن الحفاظ على الدين والأخلاق والقيم يجب أن يكون في طليعة اهتماماتنا ، ومن الأمثلة على ذلك :

أـ أصدرت فرنسا وكندا قوانين تحظر نشر كثير من المواد الامريكية ونقلها وحذت حذوهما كل من الصين وسنغافورة (48) .

ب ـ رفضت فرنسا التوقيع على الجزء المتعلق بالسلع والمواد الثقافية في اتفاقية القات ونددت وزير الثقافة الفرنسي واليوناني بموقف الولايات المتحدة لنشر المواقف الأمريكية (49).

6ـ عولمة الثقافة الإسلاميـــــة : تمتلك الأمة العربية الإسلامية ثقافة قوية تؤهلها للمشاركة في عولمة الثقافة من دون خوف أو تردد إذا ما هيأت حكومات هذه الدول الاستعدادات العلمية والفنية والبشرية لأحداث العولمة المطلوبة . وفى هذا السياق هناك عددا من الأمور الأساسية التي تكفل انتقال الامة العربية الإسلامية من وضع الملتقى فقط للعولمة الوافدة والغازية الى حال المرسل المشارك في عولمة الثقافة ، بهدف المنافسة والتغلب على الثقافات الأخرى . إن عولمة الثقافة العربية الإسلامية ،

لا يدخل في دائرة الضرورية فحسب ، ب يدخل في دائرة الواجب الشرعي ، انطلاقا من واجب نشر الإسلام وإيصاله إلى جميع مناطق العالم تأكيدا لقوله - تعالى - : ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُــوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِــى** ﴾ (50) ، والواقع أنه لا خيار لنا لا من الناحية الشرعية ، ولا من الناحية الواقعية ، ألا نخطط لعولمة ثقافتنا ، ولكن هذه العولمة تتطلب إصلاح الوضع على مستوى الداخل حتى نكون مؤهلين لمخاطبة الخارج . ولتحقيق ذلك لابد من الاهتمام بتحقيق الخطوات التالية (51) :

أـ صياغة دقيقة لأطر الثقافة العربية الإسلامية العامة وذلك بالرجوع الى مصادرها الأساسية وتحقيق اجماع عربي إسلامي في هذا الشأن .

ب ـ إعادة بناء الهياكل التنظيمية والإدارية في الدول العربية الإسلامية وفقا لهذه الأطر الثقافية لتكون ثقافة هذه الهياكل ثقافة عربية إسلامية .

جـ اعادة صياغة مناهج التربية والتعليم في جميع المراحل التعليمية وفقا لهذه الأطر الثقافية حتى يكون خريجو هذه المؤسسات مؤهلين لنشر الثقافة العربية الإسلامية داخليا ، وقادرين على المشاركة في عولمتها خارجيا .

دـ إعادة بناء السياسات الإعلامية ، على جميع الأصعدة والوسائل ، لتمثل الثقافة العربية الإسلامية أصدق تمثيل ، ولتكون قادرة على خدمة هذه الثقافة وعولمتها .

هـ إعادة بناء الهياكل السياسية ، الإدارية ، الاقتصادية والتجارية في الدول العربية الإسلامية ، وفقا للثقافة العربية الإسلامية ، وإزالة جميع المتناقضات معها أو الدخيلة عليها في هذه الهياكل .

وـ خلق قواعد متينة للبحوث العلمية والمعلومات والمشاركة الفعالة في تطوير التقنية إلى المستوى الذى يجعل الأمة العربية الإسلامية مشاركًا حقيقيًا في هذه المجالات بدلاً من أن تلعب دور الملتقى فحسب ؛ لأن :"الأمة التي لا تبدع لنفسها أفكرها – وفق ثقافتها – وتثق بها وتعلي من شأنها لن تكتشف ذاتها وطريقها إلى المستقبل"(52).

ي ـ إشراك جميع القادرين من أبناء الأمة في عملية صنع القرار، على جميع الأصعدة والمستويات وفقا للنظام الإسلامي يضاف إلى ذلك ضرورة عدم الانبهار بالإنجازات المادية للحضارة الغربية كما يؤكد ذلك الإسباني (لويس روخاس)،- حين يقول في ندائه التحذيري الموجه للعرب والمسلمين -: (53) :"انصحوا المبهورين بحضارة الغرب أن يعيدوا النظر إليها، احذروا أن تخلطوا تصوراتكم بالتصورات الأوروبية ،

أنتم أهل حضارة عريقة، وهي وإن لم تصل من الناحية المادية إلى مستوى الغرب ، إلا أن فيها مقومات لا تملكها حضارة بلداننا الأوروبية . إن الانسان حاول أن يؤله نفسه بواسطة العلم ، والعلم وحده ؛ ولكنه وجد حضارته التي بناها عليه أحقر وأقل قيمة مما كان يعتقد " ونداء (روخاس) يؤكد هذه الواقعة التي رواها عبد الحميد الغزالي بقوله : "بعد سقوط الاشتراكية وتبني (جورباتشوف) البيريسترويكا ، التي أراد من خلالها أن يبحث عن طريق غير الرأسمالية؛ لأنه أعلم بمشاكها – أرسل وفدا ليدرس النظام الإسلامي للاستفادة منه، وشكلت لجان في مركز الاقتصاد الإسلامي التابع لجامعة الازهر من المتخصصين ، وعكفت هذه اللجان على صياغة برنامج متكامل للنظام الإسلامي في شكل بنود وفقرات ، قدمنا فيه نظاما اقتصاديا تشغيليا ، يبدأ بفلسفة النظام والعمل والأجور، ونظام الملكية المتعددة ، والاستهلاك ، والاستثمار، والادخار ، والشركات ، وصيغ الاستثمار، والسياسة النقدية ، والسياسة المالية إلى آخر مكونات النظام الاقتصادي الفاعل.وعندما قدمنا هذا النظام للوفد ، تساءل رئيسة الوزير "بافلوف" : "لديكم مثل هذا النظام ، وأنتم على هذه المسألة من التخلف ؟ وأسندت أمانة المؤتمر الرد فكان ردي : "لأننا بعيدون تماما عن هذا النظام" ؛ ولكن توالت أحداث تفكك الاتحاد السوفيتي ، ولم تجد القيادة الروسية الفرصة للاستفادة من هذا المشروع ، الذى أصر الوفد الروسي على مناقشته تفصيلا في جولة ثانية في موسكو ... إلا أن الجولة المقترحة لم تتم بسبب هذه الأحداث(54).

إن الباحث يدرك مدى شدة الصعوبات التي تقف حائلا دون تحقيق هذه التطلعات ، غير أنه يرى أنها ليست مستحيلة اذا ما توافرت العزيمة لدى أصحاب القرار في الامة العربية الإسلامية على تحقيقها والتنسيق الفعال بشأنها ، وكما يبق ذكره ، فإنه لا خيار للأمة اليوم في تجاهل عولمة الثقافة إذا أرادت أن يكون لها دور في عصر العولمة الحالي .

7ـ توجيه الإعلام لخدمة الثقافة العربية الإسلامية : وبالرغم من أهمية جميع المجالات التي تمت الإشارة إليها ، فان الإعلام يبقى المجال الأهم فيما يتعلق بعولمة الثقافة ، لأنه الجانب الأول الملاحظ والمرئي من قبل الآخرين وهم ينظرون إلى الثقافة العربية الإسلامية ، سواء بالسلب أو بالإيجاب ، فهل الإعلام الحالي في الدول العربية الإسلامية قادر على خدمة عولمة الثقافة العربية الإسلامية ؟ يجيب زكي

الميلاد على هذا التساؤل : "المشكلة التي تمثلها معظم أجهزة الإعلام في الدول العربية الإسلامية أنها أجهزة لا تنتمي إلى الأرض التي وجدت عليها ، ولا إلى ثقافة الأمة التي تخدمها . فأغلبها يدار بسياسات تتناقض مع أصول الثقافة الإسلامية ، فهي بدلا من أن تنشر هذه الثقافة في مجتمعاتنا ، وتنقلها إلى المجتمعات الأخرى ، تعمل هذه الأجهزة وكأنها وكالات إعلامية وثقافية ، أقيمت في البلاد الإسلامية ، لخدمة الثقافات المتناقضة مع الثقافة الإسلامية . فبرامجها مبنية على أصول مادية للحياة وعلى أن الدين الإسلامي ليس مرجعا تشريعيا للنظام وعلى أن الحقائق والأخلاق ، ليست مطلقة ، بل نسبية ، وعلى أن الدين لا شأن له بالحياة"(55)، ويضيف قائلا : "وبما لا يدع مجالا للشك أن الاعلام العربي الإسلامي لا يزال غير مقنع : فزيادة على كونه لا يمثل الثقافة العربية الإسلامية تمثيلا صادقا وشاملا ، فانه فيما يمثل هذه الثقافة لا يقدم شيئا مقنعا يتس بالعمق ويحظى بالقبول والتقدير . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان المضادات الثقافية للثقافة العربية الإسلامية تملأ مساحة كبيرة من الاعلام العربي الإسلامي وخاصة في القنوات الفضائية ، التي تتبارى في عرض ما يدعم الثقافة الغربية . ومن جهة ثالثة ، فإن كثيرا من العاملين في مجال الاعلام لا يمتلكون الرؤي الثقافية العربية الإسلامية ، وإن كانوا يمتلكون المهارات الإعلامية . كما أن كثيرا من أولئك الذين يمتلكون الثقافة العربية الإسلامية يفتقدون المهارات الإعلامية اللازمة لعصر الفضائيات"(56).

لقد اتّضح أن الاعلام العربي الإسلامي يعاني من القصور في الشكل والمضمون ، ويعاني من فقدان الصبغة العربية الإسلامية بصورة واضحة، الأمر الذي يتطلب تدخلا عاجلا من قبل المسؤولين لتصحيح مساره ،وإكسابه الأساليب والتقنيات الحديثة المتطورة .

8ـ تبنى استراتيجية الفعل بدلا من استراتيجية رد الفعل : لعل أهم ما يميز أجهزة الثقافـــة والإعلام في الدول العربية الإسلامية، أنها تتصرف حيال القضايا التي تواجهها وفق استراتيجيات رد الفعل (57)، وذلك حينما يتناهى إلى أسماعنا أن فيلما سينمائيا أو مسلسلا تلفزيونيا ، أو رواية ما ، أو إعلانا ما ، في مكان ما من العالم ، قد أساء إلى الإسلام ، أو إلى أحد شخصياته ورموزه . عندها تهب الدوائر الثقافية والإعلامية في البلدان العربية الإسلامية ، وبعد فوات الأوان ، للرد على هذه الإساءة

والتصدي لها ، عبر ما هو متاح لهذه الدول من وسائل واتصالات دبلوماسية وغير دبلوماسية ، فالدور وفق استراتيجية رد الفعل ، غير مجد في عصر العولمة ،فالوضع العالمي الجديد يتطلب التحول السريع إلى استراتيجية الفعل وفق خطط وبرامج مسبقة ومدروسة ، لاستشراق مستقبل العالم ، وتحديد المواقع التي يحتمل أن ينطلق منها الخطر على الثقافة العربية الإسلامية ، والقيام بالتحصينات اللازمة بل والتخطيط للهجوم قبل تلقي الصدمات الثقافية التي توجه إلينا ، إن الأمة العربية الإسلامية اليوم على مفترق طريقين لا ثالث لهما : فإما أن تذوب في الثقافات الأخرى وتستسلم لثقافة العولمة وإما أن تصمد بأصولها وثوابتها وتنافس على المواقع الأولى بين ثقافات العالم وإذا اختارت الطريق الثاني فإن عليها أن تهيئ الأسباب وأن تحشد الطاقات لكي تضمن موقعا متقدما لها بين ثقافات العالم ، في حاضر سريع التغير ، ومستقبل قريب الوقوع(58).

الخاتمـــــــــــة :

يقول مهاتير محمد ، رئيس وزراء مالـيزيا ، في محاضرة ألقاها في 24 يوليو عام 1996م : "إن العالم المعولم لم يكن أكثر عدلا ومساواة ؛ وإنما سيخضع للدول القوية المهيمنة ، وكما أدّى انهيار الحرب الباردة الى موت وتدمير كثير من الناس ، فإن العولمة يمكن أن تفعل الشيء نفسه وربما أكثر من ذلك ... في عالم معولم سيصبح بإمكان الدول الغنية المهينة فرض إرادتها على الباقين ، الذين لن تكون لهم أفضل مما كانت عليه عندما كانوا مستعمرين من قبل أولئك الأغنياء "(59). الناجح في ميادينه والاستجابة لتحدياته ومن ثمة المشاركة في بناء حضارته باقتدار ونجاح لنحمي أنفسنا بل البشرية من حولنا (60) سبيلنا إلى ذلك هو العلم الايمان والعل والعمل بهما ، وتدبر قوله- تعالى - : **﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾(61)**

النتائج :

1- صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسـألة شاقة

2ـ العالم الكندي (مارشال ماك لوهان)، الذى يعتبر أول من أشار إلى مصطلح العولمة عندما صاغ في نهاية عقد الستينيات مفهوم القرية الكونية

3 - يرجّــح صاحب كتاب (فخ العولمة) البداية الحقيقية للعولمة إلى عام 1995 ؛ حيث وجه الرئيس السوفيتي جورباتشوف الدعوة الى خمسمائة من قادة العالم في مجال السياسة والمال والاقتصاد في فندق فيرمونت المشهور في سان فرانسيسكو لكى يبنوا معالم الطريق إلى القرن الحادي والعشرين

4- الثقافة مفهوم شامل معبر عن نظرة الفرد للإنسان والكون والإله وللآخرين من حوله، ولنمط الحياة والسلوك والعلاقة بين الدول والدولة والقيم ، ولذلك فالثقافة تختلف طبيعتها من حضارة لأخــرى

5- إن انهيار الاتحاد السوفيتي فسح المجال أمام الغرب لنشر مبادئه في كل المجتمعات الأخرى : فأصبحت قيم السوق ، التجارة الحرة ، الانفتاح الاقتصادي ، التبادل التجاري ، انتقال السلع ورؤوس الأموال ، تقنيات الانتاج والأشخاص والمعلومات هي القيم الرائجة . لقد تولت أمريكا قيادة هذا القطب وراحت تفرض هذه المبادئ عن طريق المؤسسات الدولية

6- اللغة هي أداة التفاهم والتواصل ونقل الأفكار، فهي في الوقت نفسه أداة مهمة تعتمدها قوى العولمة في بسط هيمنتها الثقافية

7- تعتبر ثقافة كل أمة على صلة وثيقة بدينها وتراثها الثقافي والحضاري ، وأن تخلي الأمة عن ثقافتها هو جزء من التخلي عن دينها تراثها وهذا ما تهدف العولمة الثقافية وأبواقها إلى تحقيقه وتكريسه على أرض الواقع

8- الثقافة العربية الإسلامية تقوم على عدم الفصل بين الدين والدولة ، بينما تقوم الثقافات الغربية الحديثة ، على أن الدين من جملة القضايا الشخصية

9- تمتلك الأمة العربية الإسلامية ثقافة قوية تؤهلها للمشاركة في عولمة الثقافة من دون خوف أو تردد إذا ما هيأت حكومات هذه الدول الاستعدادات العلمية والفنية والبشرية لأحداث العولمة المطلوبة

الهوامـــــــــــش :

(1) المقصود بمصطلح دول الأطراف الدول المتخلفة والنامية .
(2) المقصود بمصطلح دول المركز الدول الغربية وعلى رأسها أمريكا .
(3) معاش مرتضى : "العولمة رؤى ومخاطر" ، مجلة النبأ ، عدد 35 ، السنة 5 ، 1420 – 2000 ، ص4.
(4) أسيد يسين : "في مفهوم العولمة"، مجلة المستقبل العربي ، عدد 228 ، 1998 .
(5) نفس المرجع .
(6) عبودي علي : أوروبا والنزعة الاستعمارية الكامنة ، أنترنيت 21 – 7 – 2002 .
(7) نقلا عن باسيل يوسف : حقوق الانسان بين العالي والإنسانية والعولمة السياسية ، مجلة الموقف الثقافي ، العدد 10 ، 1997 ، بغداد ، ص 17 .
(8) نقلا عن السايعي ناصر بن سليمان : البعد الثقافي في مفهوم العولمة السياسية ، مجلة الموقف الثقافي ، العدد 10 ، 1997 ، بغداد ، ص 17 .
(9) نقلا عن نفس المرجع
(10) السيد الزيات : هل تتلاشى الدولة في ظل العولمة ؟ ، مجلة تحديات ثقافية ، العدد 181 ، 1998 ، نقلا عن بركات محمد مراد : العولمة . المفهوم المراوغ www.almarefah.com1423
(11) المشرف : العولمة : الحقيقة والأبعاد ، ورقة مقدمة إلى مؤتمر العولمة بكلية الشريعة عام 2000 ، جامعة الكويت ، ص2، www.al-ommah.orj
(12) مطر زكريا : العولمة هدم للاقتصاد القديم ، أنترنيت 2002 .
(13) المشرف ، مرجع سابق .
(14) التويجري أحمد بن عثمان : الرؤية الرأسمالية والرؤية الإسلامية : الدين والعولمة والحل الإسلامي (2 – 3) مجلة الدعوة ، عدد 1725 ، 1420 / 2000 ، ص18 .
(15) السبيعي ناصر بن سليمان : البعد الثقافي لمفهوم العولمة السياسية ، مجلة الوقف الثقافي ، العدد 10 ، 1997 ، بغداد ص 17 ، وقد اشترك في هذا المؤتمر المغلق أقطاب العولمة في عالم الحاسوب والمال ، وكذلك قادة الاقتصاد الكبار وأساتذته في جامعات ستانفورد وهارفرد وأكسفورد، واشترك فيها من السياسيين ، الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب ، ووزير خارجيته شولتز ، ورئيسة الوزراء البريطانية مارجريت تاتشر ورئيس وزراء مقاطعة سكسونيا وغيرهم.
(16) نفس المرجع .
(17) نفس المرجع .
(18) السايعي ناصر بن سليمان : البعد الثقافي لمفهوم العولمة السياسية ، مجلة الوقف الثقافي ، العدد 10 ، 1997 ،.
(19) السايعي ، مرجع سابق .
(20) حبيب ، العولمة في المجال الثقافي – وجهة نظر نقدية – مجلة النبأ ، عدد 27 ، بيروت ، - www.annaba.com
(21) السايعى ، مرجع سابق .
(22) السايعي ناصر بن سليمان : البعد الثقافي لمفهوم العولمة السياسية، مجلة الوقف الثقافي، العدد 10، 1997.
(23) نفس المرجع .
(24) نفس المرجع .
(25) السايعي ناصر بن سليمان : البعد الثقافي لمفهوم العولمة السياسية ، مجلة الوقف الثقافي ، العدد 10 ، 1997.

(26) عن نفس المرجع السابق .
(27) نفس المرجع السابق .
(28) التويجري عبدالعزيز بن عثمان "الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي" ، رسالة التقريب ، عدد 1420 ، 23 / 1999 ، ص 123 ، نقلا عن السايعي نفس المرجع .
(29) المشنى عوني : العولمة في الخطاب العربي المعاصر ، أنترنيت 2002 .
(30) معاش مرتضى : "العولمة رؤى ومخاطر" ، مجلة النبأ ، عدد 35 ، السنة الخامسة 1420 / 2000 ، ص30.
(31) هذه الوكالات هي :
-الوكالة المشتركة للصحافة (أسويدسايتد برس) الأمريكية وهى أعظم وكالة أنباء عالمية .
-الوكالة المتحدة للصحافة (يونايتد برس) الأمريكية .
-رويتر الإنجليزية .
-فرانس برس الفرنسية .
(32) ريفو بوك : توالد العولمة : التحولات والممانعة ، خدمة كمبردج ، انترنيت 17 – 1 – 2001 .
(33) موسى عبدالله : "رؤيتنا الثقافية وتحديات العولمة" ، مجلة النبأ ، عدد 59 ، 1422 / 2001 .
(34) نفس المرجع .
(35) نفس المرجع .
(36) السايعي ناصر بن سليمان : البعد الثقافي لمفهوم العولمة السياسية ، مجلة الوقف الثقافي ، العدد 10 ، 1997..
(37) سورة المؤمنون ، الآية 116 .
(38) سورة الرعد ، الآية 33 .
(39) سورة سبأ الآية 33 .
(40) سورة الحشر الآية 7.
(41) لقد دعم الغرب كل من يقول بنسبية الحقائق ويروج لها في الثقافة الإسلامية : فقد امتدح بللترو وكيل وزارة الخارجية الامريكية الأسبق ثلاثة من الكتاب العرب ، ودعا إلى ترويج كتاباتهم واعتمادها وهم : محمد شحرور السوري ، محمد سعيد العشماوي المصري ومحمد أركون الفرنسي ، وإن ما يجمع هؤلاء الثلاثة هو قولهم بنسبية الحقيقة ، المرشد ، مرجع سابق .
(42) السايعي ناصر بن سليمان : البعد الثقافي لمفهوم العولمة السياسية ، مجلة الوقف الثقافي ، العدد 10 ، 1997..
(43) المقصود بالجانب العلمي تلك الأبعاد المتصلة بالعلم ومنجزاته كثورة المعلومات وشبكات الاتصالات وتكنولوجيا الإعلام والبث الرقمي والاتصال عبر الأقمار الاصطناعية إلى غير ذلك .
(44) المقصود بالجانب الأيديولوجي أو التوظيفي تحويل تلك الوسائل والمنجزات لخدمة أهداف ومصالح وبرامج واستراتيجيات متحيزة أو غير أخلاقية أو غير عادلة .
(45) سورة سبأ ، الآية : 28 .
(46) سورة القصص ، الآية 17 .
(47) السايعي ناصر بن سليمان : البعد الثقافي لمفهوم العولمة السياسية ، مجلة الوقف الثقافي ، العدد 10 ، 1997..
(48) نفس المرجع.
(49) نفس المرجع .
(50) سورة يوسف ، الآية : 108 .

(51) الميلاد زكــي : التحديات الثقافية التي تواجه الأمة الإسلامية في عصر العولمة الجديد -www.al mansouria.com.

(52) ابن زيد الزنيدي عبد الرحمن : "العولمة في مواجهة الصحوة (7) ما الذى ينبغي للأمة عمله تجاه العولمة ؟ مجلة الدعوة ، عدد 1725 ، 1420 / 2000 ،ص14 ، نقلا عن الميلاد زكي : المسألة الحضارية ، ص 8 .

(53) نقلا عن عرسان عقلة : ثقافتنا والتحدي خطابنا وخطاب العصر ، هامش 9 ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2000. . (لويس روخاس)، أستاذ علم النفس في كلية الطب في جامعة غرناطة

(54) نقلا عن المشرف ، مرجع سابق .

(55) الميلاد زكي : التحديات الثقافية التي تواجه الامة الإسلامية في عصر العولمة الجديد -www.al mansouria.com. ، .

(56) نفس المرجع .

(57) الميلاد زكي : التحديات الثقافية التي تواجه الامة الإسلامية في عصر العولمة الجديد -www.al mansouria.com. ، .

(58) نفس المرجع .

(59) نقلا عن التويجري ، مرجع سابق .

(60) عرسان ، مصدر سابق

(61) سورة الرحمن